شرح

القواعد المثلى

في صفات الله وأسمائه الحسنى

محمد بن صالح العثيمين

- رحمه الله تعالىٰ -

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالىٰ

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[الدرس الأول]

أعد هـٰـذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

[مقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّه نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ونستغفره ونتوب إليه، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شرور أنفُسِنَا وسَيِّئات أعْمَالنَا، مَنْ يَهْدِه اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فنسأل الله جل وعلا أن يمنحنا العلم النافع والعمل الصّالح، وأن ينفعنا بما علّمنا وأن يجعل ما نتعلمه حجة لنا لا حجة علينا.

وبين يدي دراسة هٰذا الكتاب (**كتاب القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**) للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، فإنني أقدم بثلاث مقدمات أرى أنها مهمة:

المقدمة الأولى

عن أهمية دراسة توحيد الأسماء والصفات -والتي يبحث هــٰذا الكتاب- في بيان قواعد هٰذا العلم العظيم، فلابد من كلمة عن أهمية دراسة توحيد الأسماء والصفات.

وهٰذا العلم المبارك -علم توحيد الأسماء والصفات- هو أجلّ العلوم وأشرفها وأنفعها وأعظمها عائدةً على صاحبه، وكما يقال: شرف العلم من شرف معلومه. ولا أعظم من العلم بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى والعلم بأسمائه عزّ وجل الحسنى وصفاته العظيمة.

ومما يدلّ على عظم شأن هٰذا العلم أنه رُكن من أركان الإيمان بالله، إذ الإيمان بالله يقوم على أركان، لا قيام له إلا عليه، ألا وهي:

- الإيمان بوحدانية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في ربوبيته.
- والإيمان بوحدانيته في ألوهيته.
- والإيمان بوحدانيته في أسمائه وصفاته.

فالإيمان بالأسماء والصفات أحد أركان الإيمان بالله.

ومما يدلّ على شرف هٰذا العلم وعظيم مكانته أنه من الغايات التي خُلق الخلق لأجلها؛ بل إنّ الخلق خلقوا لأمرين:

- لمعرفة الله عز وجل.
- وعبادته.

أما معرفته ففي قول الله جل وعلا: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)﴾[الطلاق:١٢]، تأمل ﴿خَلَقَ... لِتَعْلَمُوا﴾ فالعلم بالله، وبكمال قدرته، وتمام علمه، وكمال أسمائه وصفاته، من غايات الخلق، ﴿خَلَقَ... لِتَعْلَمُوا﴾.

فمن الغايات التي خُلقت لأجلها ووجدت لتحقيقها أن تعرف ربك جل وعلا، وتعرف عظمته وجلاله وكماله وكبرياءه، وتعرف أسماءه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصفاته.

وأما العبادة ففي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾[الذاريات:٥٦]، فهٰذه فيها أنّ الغاية من خلق الناس عبادة الله.

ولهٰذا قال العلماء التوحيد نوعان:

- توحيد علمي.
- وتوحيد عملي.

التوحيد العلمي دلّت عليه الآية الأولى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ إلى آخرها.

والتوحيد العملي دلت عليه الآية الثانية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾.

ومما يدلّ كذلك على عظم دراسة هٰذا العلم والعناية به أن معرفة الله بمعرفة أسمائه وصفاته مقتضية لآثارها من العبودية لله، والذل له، والخضوع بين يديه، والقيام بطاعته والانكفاف عن معاصيه؛ لأنّ العبد كلما ازداد علما بالله وبأسمائه وصفاته ازداد خشية منه ورغبة في طاعته وبُعدًا عن نواهيه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٨].

وفي هٰذا المعنى قال أحد السلف: من كان بالله أعرف كان منه أخوف.

ولابن القيم رحمه الله كلمة شبيهة بهٰذه ذكرها في مقدمة كتابه (الكافية الشافية) قال: من كان بالله أعرف كان لعبادته أطلب ومنه أخوف وعن معصيته أبعد.

وهٰذه كلها آثار العلم بالله والعلم بأسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصفاته، فإذا ازداد العبد علما به وبأسماء الله عز وجل وصفاته دعاه ذلك إلى تحقيق مقتضيات هٰذه الأسماء وموجباتها من الذُّل لله والخضوع بين يديه والقيام بطاعته والابتعاد عن نواهيه.

بل إنّ كل اسم من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مقتضٍ لآثاره من العبودية، ليس هناك من أسماء الله ما لا يقتضي تعبدا وتذللا، ليس هناك من أسماء الله ما يكون المطلوب من العبد فيه مجرّد العلم دون أن يكون لهٰذا العلم أثر من التعبد والتذلل والخضوع لله عزّ وجل.

فأسماء الله كلها مقتضيةٌ للتعبّد، موجبةٌ للخضوع والتذلل لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وهٰذا التذلل والخضوع والتعبّد -الذي هو أثر من آثار العلم بالله وأسمائه وصفاته- لا يكون إلا بالعلم الصحيح والفهم السديد والنهج السّوي بمعرفة أسماء الله تَبَارَكَ وتَعَالىٰ.

أما مناهج من انحرفوا في هٰذا الباب فإنها لا تزيد صاحبها إلا بُعْدا عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولا تزيده إلا إضاعة للقيام بعبادته والذّل له عزّ وجل.

ومن دلائل أهمية هـٰـذا العلم المبارك -علم الأسماء والصفات- أنّه من أعظم الأمور التي تزيد الإيمان وتقوّيه؛ بل إن العلم بالله أساس زيادة الإيمان، وهو إيمان، فإذا وُجد في القلب علِم العبد بالله وبأسمائه وصفاته وجلاله وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خضع القلب وانكسر وذلّ، وخضعت الجوارح وخشعت لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وأقبلت على طاعته.

فهٰذه فائدة عظيمة من فوائد دراسة هٰذا العلم المبارك.

ومما يدلّ على أهمية دراسة هٰذا العلم دراسةً صحيحةً سليمة أن الغلط فيه خطير جدا، والخطأ فيه ليس كأي خطأ في أمر آخر، ولهٰذا قال الله جل وعلا: ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٨٠)﴾[الأعراف:١٨٠]، فسمّى تَبارَكَ وتَعالىٰ الانحراف في فهم أسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ إلحادا، والإلحاد هو الميل بأسمائه الحسنى وصفاته العظيمة عن مرادها.

والقرآن الكريم دلّ في مواضع عديدة منه على خطورة الغلط في هٰذا الباب، حتى لو كان الغلط في اسم واحد أو صفة واحدة من صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فكيف بمن يكون قاعدة عامة في باب الأسماء والصفات.

وتأملوا هٰذه جيدا، القرآن الكريم دل على خطورة الغلط في أسماء الله وصفاته ولو كان في اسم واحد أو صفة واحدة، فكيف الأمر –إذن– بمن غلطه في أسماء الله وصفاته قاعدة مطردة في الأسماء والصفات، كما هو الشأن في أهل الكلام الباطل.

وتأمل في ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢)﴾[فصلت:٢٢]، هٰذا غلط في هٰذا العلم المبارك، ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ﴾ أي اعتقدتم ﴿أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ﴾ هنا نفي لـ: ماذا؟ لصفة العلم؛ نفي لصفة العلم، وليس نفيا لها مطلقا وجحدا لها جحدا كليا، وإنما قال: ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا﴾ هو يعلم، في عقيدتهم أنه يعلم؛ لكن علمه ليس محيطا.

فماذا ترتّب على هٰذا المعتقد المنحرف من الخسران والعواقب الوخيمة على أهله وأصحابه؟

﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤)﴾[فصلت:٢٢-٢٤].

فالخطأ في أسماء الله وصفاته سبيل الرّدى ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ أي أوصلكم إلى الردى وهو الهلاك.

وحقيقةً أن الغلط بأسماء الله وصفاته سبيل ردى، يُردي صاحبه، ليس فقط في باب التوحيد العلمي؛ بل في أمور الدين كلها وأحوال الشخص جميعها، فمن قُطع عن معرفة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى معرفةً صحيحة قُطع من كل خير، وحُرم من كل خير؛ لأن أساس الخير فقده.

ومثال آخر في خطورة الغلط في أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وصفاته، قول الله جل وعلا: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١)﴾[مريم:٨٨-٩١]، هٰذا غلط في توحيد الأسماء والصفات (ادّعوا للرحمٰن ولدا).

ولاحظ معي توحيد الأسماء والصفات يقوم على أصلين:

- الإثبات.
- والتنزيه.

الآية الأولى: ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢)﴾[فصلت:٢٢]، هٰذا غلط في الإثبات؛ أثبت الله جل وعلا ونفى هٰؤلاء.

والآية الثانية: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ غلط في باب التتريه؛ نزه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نفسه الولد، وهم أثبتوا لله ما نزه نفسه عنه.

الآية الأولى الله يثبت وهم يجحدون، والآية الثانية الله ينفي وهم يُثبتون.

والغلط في أسماء الله وصفاته أيّا كان سبيل هلكة للعبد ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ أي عظيما بالغ الخطورة، ومن خطورته ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ هـٰذا غلط في هٰذا الاسم، أو في هٰذه الصفة.

فكيف بمن يكون غلطه قاعدة مطّردة في باب أسماء الله وصفاته، وشاملا لكل الأسماء وشاملا لكل الصفات.

ومما يدلّ كذلك على أهمية دراسة هٰذا العلم كثرة الفرق المنحرفة والمدارس الضالة التي نشأت في هٰذا الباب -باب الأسماء والصفات-، ولكلٍّ وجهة هو موليها، فمدارس كثيرة ومناهج عديدة، وكلها مجانبة للصواب، وكلها مفارقة للحق، وليس الحق إلا فيما كان على نهج الرّسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولزوم كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه.

وإذا كانت المدارس كثيرة والمناهج عديدة والشبه متنوعة، فإنّ الواجب على أهل الحق وطلاّب العلم أن يجدّوا في هٰذا العلم وأن يحرصوا على فهمه ودراسته دراسة صحيحة ليَسلموا من الشّبه، ويسلموا كذلك من الانحرافات المتكاثرة في هٰذا الباب باب الأسماء والصفات.

ولعلي أختم فيما يتعلق بأهمية دراسة هٰذا العلم بكلمة تعجبني لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول فيها رحمه الله: **من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة، يكون البحث عن هـٰذا الباب والسؤال عنه، ومعرفة الحق فيه، أكبر مقاصده وأعظم مطالبه.**[1] هٰذه كلمة عظيمة تدل على قيمة دراسة هٰذا العلم وما له من الآثار المباركة والعوائد الحميدة على صاحبه.

[1] الفتوى الحموية الكبرى، مجموعة الفتاوى (٥/٩) ط دار الجيل.

ننتقل:

المقدمة الثانية

وهي عن أهمية القواعد؛ لأن الكتاب الذي ندرسه (القواعد المثلى).

والقواعد لها أهمية بالغة، ليس في باب توحيد الأسماء والصفات فقط؛ وإنما في العلوم كلها؛ لأن القواعد للعلوم كالأساس للبنيان، والأصول للأشجار.

البناء الحسي يقوم على قواعد، ومن شأن قواعده أنها تمكِّن للبناء وترسخه وتثبته.

ولهٰذا قال العلماء: القواعد للعلوم كالأساس للبنيان وكالأصول للأشجار.

وعلى هٰذا فالقواعد على نوعين:

- قواعد حسية.
- وقواعد معنوية.

القواعد الحسية تتعلق بالأبنية ومنه قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾[البقرة:١٢٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾[النحل:٢٦].

والقواعد المعنوية في مثل قولهم: القاعدة في الباب كذا؛ يعني الأصل الذي يجمع مسائل الباب.

فالعلوم لها قواعد، وقواعد العلوم طريقة العلم بها استقراء الأدلة وتتبع النصوص وجمع الأشباه والنظائر، ولهٰذا لا تظن أن مثل هٰذه القواعد قد حُصِّلت بيسر وسهولة، وإنما هي حصيلة جهود أهل العلم واستقرائهم وتتبعهم لكلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى وصلت إليك هٰذه القواعد بهٰذه القوالب النافعة الميسّرة المعينة لك على ضبط العلم وإتقانه.

والقاعدة تعريفها عند أهل العلم: أنها حكم كلي، ينطبق على جزئيات كثيرة تُعرف أحكامها منها. هٰذه هي القاعدة؛ حكم كلي ينطبق على جزئيات كثيرة، بمعنى أن هٰذه الجزئيات الكثيرة تنتظم تحت هٰذه القاعدة وتشملها القاعدة بعمومها، وكل جزئية من جزئيات هٰذه القاعدة ترجع إلى القاعدة.

ولهٰذا يقال في الجزئيات: هٰذا داخل في قاعدة كذا، ومندرج تحت قاعدة كذا، أو يقال: هٰذا وهٰذا يجمعهما قاعدة كذا.

وتُعرف أحكام هٰذه الجزئيات بالقاعدة الكلية الجامعة.

ولـــهٰذا فإن في معرفة علم القواعد فوائد عظيمة جدا وآثار نافعة على طالب العلم:

من هــٰذه الفوائد تثبيت العلم وتقويته، إذا كان عندك قاعدة في العلم المعين الذي أنت ذا عناية به، فإنّ القواعد تثبّت العلم وتقويه، وإذا أشكل عليك شيء في الباب مكّنت القاعدة له وأزالت الإشكال.

كذلك من فوائد القواعد أنه يَحصُل بها الفرقان بين المسائل المشتبهة، فإذا كانت عندك قواعد كلية في الباب يزول الاشتباه.

ومن فوائدها كذلك جمع الأشباه والنظائر.

ومن فوائدها تسهيل العلم وضبطه.

إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة للقواعد الكلية.

ولهٰذا اعتنى أهل العلم بالقواعد في العلوم كلِّها، لا تجد علما من العلوم إلا وله قواعد، قواعد كلية وأصول جامعة وضوابط نافعة تضبط لطالب العلم أبواب هٰذا العلم ومسائله.

ننتقل إلىٰ:

المقدمة الثالثة والأخيرة

وهي أهمية هٰذا الكتاب (**كتاب القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**).

والكتاب له أهمية عظيمة ومكانة رفيعة، وهو يكتسب أهميته من جهتين:

الجهة الأولى: أنه مؤلف مختصر، جامع لجلّ قواعد هٰذا العلم المبارك -علم توحيد الأسماء والصفات-، وقد أجاد فيه مؤلفه رحمه الله أيّما إجادة، وأفاد فيه أعظم إفادة ورتبه ترتيبا بديعا متقنا -كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله-.

الجهة الثانية: أن مؤلفه الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، وهو من هو في العلم والتحصيل والدِّقة والتحقيق والعناية على وجه الخصوص بالقواعد ليس فقط قواعد هٰذا الباب وإنما قواعد العلوم، وهو رحمه الله تبعا لإجازته في العلم فقد برع في علم القواعد، وهــٰذا يعلمه كل مطلع على أي كتاب من كتبه، أو أي فتوى من فتاواه، تجد الشيخ رحمه الله ذا عناية عجيبة بالتأصيل والتقعيد في علم العقيدة وعلم التفسير وعلم الأحكام وغيرها، ذا عناية كبيرة جدّا بالقواعد.

وقد استفاد كثيرا رحمه الله من شيخه الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله ومن كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ولهٰذا عامة هٰذه القواعد التي ذكرها رحمه الله موجودة في كتب الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي وكذلك كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه ابن القيم.

وابن القيم رحمه الله له في كتاب بدائع الفوائد فائدة قال: فائدة جليلة في قواعد أسماء الله وصفاته. وذكر رحمه الله عشرين قاعدة وختمها بقوله: إذا لم تكن على علم بهٰذه القواعد، فاحذر أن تتكلم في هٰذا العلم. أو كلاما قريبا من هٰذا، وقد طبعت هٰذه القواعد التي لابن القيم طبعة مفردة في رسالة مستقلة فيها عشرين قاعدة في باب الأسماء والصفات، وهي قواعد عظيمة.

وأيضا كثير من القواعد أتت مبثوثة في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وكتب تلميذه ابن القيم.

ومن الجهود الضخمة في هٰذا الباب ما قام به الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في كتابه (**طريق الوصول إلى العلم المأمول لمعرفة القواعد والضوابط والأصول**) مجلد كبير جمع فيه مؤلفه رحمه الله أكثر من ألف قاعدة وضابط وأصل مما وقف عليه من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه ابن القيم.

وكان رحمه الله في تعليمه يُعنى بالقواعد ويوجه طلابه للعناية بالقواعد، وأيضا قرأ عليه طلابه مؤلفات خاصة في هٰذا الباب.

ومما سمعته من الشيخ محمد العثيمين رحمه الله وهي قصة طريفة مفيدة سمعتها منه في المدينة في مجلس خاص، قال رحمه الله –وكنا على سُفرة طعام، وكان فيها أنواع من الفواكه–، لما جلسنا قال: بدأت أنا وعدد من الزّملاء الطلاب نقرأ على الشيخ ابن سعدي رحمه الله القواعد الفقهية لابن رجب، يقول: والقواعد الفقهية لابن رجب فيها دقة وفيها في بعض القواعد شيء من الغموض فتحتاج إلى صبر، يقول: فبدأ الطلاب يتركون الدرس؛ لأن المدة طويلة، واحدا تلوى الآخر.

يقول: من فضل الله عليّ ما صبر إلا أنا فبقيت معه حتى أكملت الكتاب وحدي، إلى أن انتهيت من الكتاب، يقول: لما أنهينا الكتاب من الغد لقيني الشيخ وأخرج من جيبه تفاحة أو برتقالة يقول: وهٰذه أول مرة في حياتي أرى التفاحة، لم أره قبل ذلك.

وهٰذا سبب القصة؛ يعني بمناسبة الفواكه.

يقول: أول مرة أراها، قلت للشيخ: ما هــٰذا ؟ قال: هٰذه تفاحة فاكهة تؤكل، قلت: ما يحتاج إلى طبخ ولا يحتاج إلىٰ..؟ قال: لا أبدا، هٰذه تقطعها وتأكلها. يقول: فذهبت بها إلى البيت وأولادي وأهلي أول مرة يرون التفاح فقالوا: إيش هــٰذا نطبخه أو إيش نفعل به؟ قلت: لا هــٰذه فاكهة، فقط تأتون بالسكين وأتوا بالسكين وجلست أقطع وكل واحد أعطيه قطعة، هــٰذه على إثر ختمه لكتاب القواعد الفقهية لابن رجب، وقد أخرج رحمه الله ترتيبا لهٰذه القواعد كتابا فيه ترتيب قواعد ابن رجب.

وله عناية جليلة رحمه الله بالقواعد، وشيخه عبد الرحمــٰن بن سعدي رحمه الله له عناية عظيمة أيضا بالقواعد، ومن الكتب النفسية غاية في باب القواعد كتابه القواعد الحسان –أعني الشيخ عبد الرحمــٰن بن سعدي القواعد الحسان المتعلقة بتفسير آي القرآن، حوى على (٧٢) قاعدة بدأ في كتابتها في أول شهر رمضان وفرغ من كتابتها عندما انتهى من صيام الست من شعبان بمعدّل قاعدتين في كل يوم، وهي قواعد نفيسة جدًّا في تفسير كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

إذن هٰذا الكتاب هــٰذا حصيلة دراسة طويلة وعناية فائقة وتتبّع لهٰذا العلم.

فحقيقةً أقول هنيئا لك طالب العلم بهٰذا الكتاب العظيم المبارك المحتوي على هــٰذه القواعد الرصينة المتينة في باب توحيد الأسماء والصفات.

ويناسب الآن أن نقرأ المقدمة التي كتبها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في بيان أهمية هٰذا الكتاب ومكانته.

[المتن]

تقديم لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فقد أطلعت على المؤلف القيم الذي كتبه صاحب الفضيلة العلامة أخونا الشيخ محمد بن صالح العثيمين، في الأسماء والصفات وسماه: (القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحســنى). وسمعته من أوله إلى آخره، فألفيته كتاباً جليلاً، قد اشتمل على بيان عقيدة السلف الصالح في أسماء الله وصفاته، كما اشتمل على قواعد عظيمة، وفوائد جمة في باب الأســماء والصــفات،

وأوضح معنى المعية الواردة في كتاب الله عزّ وجل الخاصة والعامة عند أهل السنة والجماعة، وأنها حق على حقيقتها، لا تقتضي امتزاجاً واختلاطاً بالمخلوقين، بل هو سبحانه فوق عرشه كما أخبر عن نفسه، وكما يليق بجلاله سبحانه وإنما تقتضي علمه واطلاعه وإحاطته بهم، وسماعه لأقوالهم وحركاتهم، وبصره بأحوالهم وضمائرهم، وحفظه وكلاءته لرسله وأوليائه المؤمنين، ونصره لهم، وتوفيقه لهم، إلى غير ذلك مما تقتضيه المعية العامة والخاصة من المعاني الجليلة، والحقائق الثابتة لله سبحانه، كما اشتمل على إنكار قول أهل التعطيل، والتشبيه، والتمثيل، وأهل الحلول والاتحاد.

فجزاه الله خيراً، وضاعف مثوبته، وزادنا وإياه علماً وهدىً وتوفيقاً، ونفع بكتابه القراء وسائر المسلمين، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

[قاله مُمليه الفقير إلى الله تعالى، عبد العزيز بن عبد الله بن باز سامحه الله] وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

[عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء
والدعوة والإرشاد]

[الشرح]

الآن انتهينا من المقدمات الثلاث الأولى في أهمية دراسة التوحيد، والثانية في أهمية القواعد، والثالثة في أهمية هٰذا الكتاب.

والآن نشرع مستعينين بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بقراءة الكتاب.

[المتن]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه مَن تبعهم بإحسان وسلّم تسليما.

وبعد:

فإن الإيمان بأسماء الله وصفاته أحدُ أركان الإيمان بالله تعالى، وهي: الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بربوبيّته، والإيمان بألوهيّته، والإيمان بأسمائه وصفاته.

وتوحيد الله به أحد أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فمنزلته في الدين عالية، وأهمّيته عظيمة، ولا يمكن أحدًا أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علمٍ بأسماء الله تعالىٰ وصفاته ليعبده على بصيرة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، وهٰذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فدعاء المسألة: أن تقدِّم بين يدي الله مطلوبك من أسماء الله تعالىٰ ما يكون مناسبا، مثل أن تقول: (يا غفور اغفر لي) و (يا رحيم ارحمني)، و (يا حفيظ احفظني) ونحو ذلك.

ودعاء العبادة: أن تتعبّد لله تعالى بمقتضى هٰذه الأسماء فتقوم بالتوبة إليه لأنه التوّاب، وتذكره بلسانك لأنه السميع، وتتعبّد له بجوارحك لأنه البصير، وتخشاه في السّر لأنه اللطيف الخبير، وهكذا.

ومن أجل منزلته هٰذه، ومن أجل كلام الناس فيه بالحق تارة وبالباطل الناشئ عن الجهل أو التعصُّب تارة أخرى أحببتُ أن أكتب فيه ما تيسّر من القواعد راجيا من الله تعالىٰ أن يجعل عملي خالصا لوجهه موافِقا لمرضاته نافعا لعباده.

وسمّيته: (القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى).

[الشرح]

بدأ الشيخ رحمه الله هٰذا الكتاب بقوله: (بسم الله الرحمٰن الرحيم) ثم ذكر خطبة الحاجة المعروفة.

والبدء بالبسملة وهٰذه الخطبة، فيه فوائد عظيمة:

أهمها الدخول في هٰذا الأمر العظيم بطلب العون من الله جل وعلا؛ لأنّ الباء في (**بسم**) باء الاستعانة، ومعنى (**بسم الله**) أي أبدأ مستعينا بالله طالبا عونه، وقولك في خطبة الحاجة (**الحمد لله نحمده ونستعينه**)، ولهٰذا من أعظم ما ينبغي في تحصيل العلوم طلب العون من الله جل وعلا، ولولا عون الله وتوفيقه للعبد ما حصّل شيئا ولا استفاد علما كما كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عنهُم يرتجزون[1]:

لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا

وأنفع الأدعية الدعاء بطلب الهداية وطلب العون من الله جلّ وعلا، فقد قال الله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)**﴾[الفاتحة:٥]، العبادة غاية والاستعانة وسيلة؛ بمعنى أنك لا يمكن أن تقوم بالعبادة إلا بهٰذه الوسيلة ألا وهي عون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لك.

ولهٰذا كم هو جميل بطالِب العلم أن يفوّض أمره إلى الله، وأن يطلب منه سبحانه مدده وعونه وتوفيقه وتسديده، وأن يلهمه الصواب، وأن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، هٰذا أعظم ما يحتاجه طالب العلم لتحصيل العلم، فقد ثبت في الحديث أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول كل يوم بعد صلاة الصبح: ((**اللهم إني أسألك علما نافعا، وعملا صالحا، ورزقا طيبا**))[2] في كل يوم يجدد الطلب، والاستعانة، ويسأل الله جلّ وعلا التيسير والتوفيق.

فهٰذا أهم ما يكون في البدء بهٰذه المقدمة.

إضافة إلى ما فيها من الثناء على الله والاستغفار والشهادة بالتوحيد وللنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة.

وأيضا في قوله: (**من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له**) فيه التفويض لله، والاعتراف بأن الهداية بيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأنّ المهتدي من هداه الله ومنّ عليه عز وجل بالهداية.

---

(1) **البخاري**: كتاب القدر، باب ﴿وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله﴾، حديث رقم (٦٦٢٠).

مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، حديث رقم (١٨٠٣).

(2) **سنن ابن ماجه**: كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب ما يقال بعد التسليم، حديث رقم (٩٢٥)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

ففيها فوائد عظيمة وجليلة القدر.

ثم بدأ رحمه الله بالكتاب، قال: (**وبعد**) وهٰذه يؤتى بها للفصل بين الكلام وفصل الخطاب، ولهٰذا يحسن أن يؤتى بها بعد الحمد والثناء وعند إرادة الدخول في المقصود، وهي مُشعرة بأن المتكلم شرع في الدخول في المقصود، ومعناها: ومهما يكن من شيء بعد فالأمر كذا وكذا.

وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ يأتي بها في خطبه، ويكتبها في رسائله، تكتب في رسائله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ويعتني بها، وهي كلمة مهمة (أما بعد) أو (وبعد).

ثم بدأ رحمه الله بموضوع الكتاب مقدِّمًا ببيان أهمية دراسة توحيد الأسماء والصفات، فقال في بيان هٰذه الأهمية: (**فإنّ الإيمان بأسماء الله وصفاته أحد أركان الإيمان بالله تعالىٰ، وهي الإيمان بوجود الله تعالىٰ، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته**).

و(**الإيمان بالله**) -كما يعلم الجميع- أحد أركان الإيمان... إيمان بهٰذا الأصل ﴿**كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾[البقرة:٢٨٥]، ولهٰذا الإيمان بالله هو أصل أصول الإيمان.

ولا إيمان بالله إلا بالإيمان بأركان هٰذا الأصل العظيم، فهو يقوم على أركان ويقوم على أسس، وهي ما أشار إليها الشيخ رحمه الله بقوله: (**الإيمان بوجوده، والإيمان بربوبيته، والإيمان بأسمائه وصفاته، والإيمان بألوهيته**) فهٰذه أركان للإيمان بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

و(**الإيمان بوجود الله**) ذكره الشيخ رحمه الله من باب التأكيد عليه والتنويه به، وإلا فهو داخل في الأقسام الثلاثة:

داخل في توحيد الربوبية؛ لأن من آمن بربوبية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فقد آمن بوجوده.

وداخل في الإيمان بأسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصفاته؛ لأن من آمن بالأسماء والصفات آمن بوجود الرب العظيم.

وكذلك من وحّد الله؛ أقبل على عبادته طاعته، ووحّده في ألوهيته فهو مؤمن بوجوده.

لكنه أُفرده بالذكر تأكيدا عليه وتنويهًا به.

وقال أيضا في بيان أهمية دراسة توحيد الأسماء والصفات، قال: (**وتوحيد الله به**) أي الأسماء والصفات (**أحد أقسام التوحيد الثّلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء**

والصفات) وهٰذا مما يبين أهميته؛ لأنّ التوحيد الذي خُلقنا لأجل ووجدنا لتحقيقه ينقسم إلى أقسام ثلاثة: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الألوهية، وتوحيد في الأسماء والصفات.

وهٰذه الأقسام الثلاثة للتوحيد، قد أخذها أهل العلم بالتتبع والاستقراء لأدلّة الكتاب والسنة.

وشاهد كل قسم من هٰذه الأقسام من القرآن والسنة لا حصر له، أو الشواهد لكل قسم من هٰذه الأقسام؛ توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

وقد جاءت دلائل هـٰذه الأقسام مجتمعة ومتفرقة في الكتاب والسنة، فتجد الآيات التي تجمع الأقسام الثلاثة كفاتحة الكتاب وسورة الناس وقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿رَبُّ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)﴾[مريم:٦٥]، آية جمعت الأقسام الثلاثة.

وتجد آيات تذكر بعض هٰذه الأنواع، ولا تكاد تجد آية في القرآن الكريم إلا وهي مشتملة على هٰذا التوحيد كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله عندما أتى بمقدمة نافعة ماتعة في آخر كتابه مدارج السّالكين على أهمية التوحيد، وأنه مقصود القرآن وغايته وأن القرآن مشتمل على بيان هٰذا التوحيد إلى أن قال: بل إن كل آية في القرآن الكريم دالة على هٰذا التوحيد.

فالتوحيد الذي خُلقنا لأجله ينقسم إلى أقسام ثلاثة، عُلمت بالتتبع والاستقراء لنصوص الشرع.

ولهٰذا ينبغي أن يُنتبه هنا أن هٰذا التقسيم ليس تقسيما اصطلاحيا؛ اصطلح عليه بعض أهل العلم أو اصطلح عليه العلماء، وإنما هو استقراء؛ تقسيم استقرائي.

ولهٰذا يقال فيه: هو حقيقة شرعية عُلمت بكتاب الله بدلالة كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ؛ ليس هو تقسيما اصطلاحيا.

وبعض المتكلّمين قالوا: نحن نسلم بهٰذا التقسيم الذي اصطلح عليه بعض العلماء؛ لأنّهم يريدون من خلال ذلك أن يقولوا: إن هـٰذا اصطلاح اصطلح عليه بعض العلماء ولا مشاحة في الاصطلاح، أنتم تصطلحون ونحن نصطلح. بينما الأمر ليس كذلك، الأمر في هـٰذه الأقسام أنها حقيقة شرعية عُلمت بالتتبع لأدلة الكتاب والسنة.

ومن شأن الحقائق التي تعلم بالاستقراء والتتبع أنها تعد حقيقة شرعية، شأن كل الأمور التي تعلم بالتتبع والاستقراء، وليس هٰذا فيما يعلم فقط من أدلة.

خذ مثالا على ما علم بالتتبع والاستقراء للغة العرب، عندما قال العلماء الكلام ينقسم إلى أقسام ثلاثة: اسم وفعل وحرف.

الاسم علامته كذا وكذا.

الفعل علامته كذا وكذا.

والحرف ما ليس له علامة.

هـٰذه حقيقة عُلمت بالتتبع والاستقراء للغة العرب فباتت حقيقة [شرعية] لا مجال للأخذ فيها والرد والعطاء، حقيقة مسلمة، ولا أحد ينازع فيها.

ومثل ذلك قل لما يتعلق بهٰذه الأقسام الثلاثة للتوحيد، فهي حقيقة شرعية أخذها العلماء بتتبع واستقراء لأدلة كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

والشاهد أن من هـٰذه الأقسام الثلاثة توحيد الأسماء والصفات.

قال رحمه الله: (**فمنزلته في الدين**) أي توحيد الأسماء والصفات (**عالية**)، (**وأهمّيته عظيمة، ولا يمكن أحدًا أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علمٍ بأسماء الله وصفاته ليعبده على بصيرة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، وهٰذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.**) هٰذا تقديم أيضا في بيان أهمية هـٰذا التوحيد ومكانته من الدين، وأن مكانته من الدين عظيمة، ومنزلته فيه رفيعة.

وأن عبادة الله التي خُلق الخلق لأجلها لا تكون إلا بمعرفته سبحانه، قد عرفنا -فيما سبق- أن قوة العبد في العبادة وحظه منها بحسب حظه من العلم بالله، فكلما ازداد علما بالله عزّ وجل وبأسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصفاته ازداد إقبالا على الله جل وعلا وعلى طاعته.

وعرفنا أنّ أسماء الله جل وعلا مقتضية لآثارها من العبودية لله والذل والخضوع، ولهٰذا من أجل عبادة الله على بصيرة لابد من معرفة الله.

ولهٰذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن دعوة المرسلين تدور أو ترتكز على ثلاثة محاور:

المحور الأول التعريف بالمعبود؛ يعرفون أممهم بالرب الجليل والخالق العظيم، ويعرفونهم بأسمائه سبحانه وصفاته وأفعاله ودلائل عظمته وجلاله وكماله؛ التعريف بالمعبود.

والمحور الثاني الدعوة إلى عبادته وإخلاص الدين له، وبيان الطريقة الصحيحة التي يكون بها التعبد والتذلل لله جل وعلا.

والمحور الثالث في دعوات الأنبياء والمرسلين بيان ما أعده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لمن سلك هٰذا السّبيل من الثواب العظيم والنعيم المقيم، وأيضا ما أعدّه من العقاب الأليم لمن نكب عنه وخالفه.

فهٰذه الأمور الثلاثة ترتكز عليها دعوات الأنبياء والمرسلين.

ثم أشار رحمه الله لما أورد قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أن هٰذا يتناول الدعاء بقسميه دعاء المسألة ودعاء العبادة.

والدعاء الوارد في القرآن الكريم وكذا في السنة نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة.

فقول الله تعالىٰ: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[غافر:٦٥]؛ أي اعبدوه.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠)﴾[القمر:١٠]؛ أي سأل ربه.

فيأتي الدعاء يراد به العبادة عبادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى والقيام بطاعته.

ويأتي الدعاء بمعنى المسألة سؤال الله عز وجل من خيري الدنيا والآخرة.

وقد بيّن المؤلف رحمه الله –بشيء من الاختصار– الطريقة المناسبة لعبادة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بأسمائه وصفاته أو لدعاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بأسمائه وصفاته دعاء المسألة ودعاء العبادة.

فقال: **(فدعاء المسألة: أن تقدِّم بين يدي الله مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون مناسبا)** أي لهٰذا المطلوب، فإذا سألت الله أن يفتح عليك توسل باسمه الفتّاح، وإذا أردت أن يتوب عليك فتوسل باسمه التوّاب، وإذا أردت أن يرحمك فتوسل باسمه الرحمٰن، وهكذا، **(أن تقول: (يا غفور اغفر لي) و (يا رحيم ارحمني)، و(يا حفيظ احفظني) ونحو ذلك.)** لاحظ هنا أثر فقه العبد لأسماء الله وصفاته في عبوديته لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بأسمائه وصفاته؛ بأن يوظّف كل اسم من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في مكانه المناسب.

ولابد من مراعاة ذلك إذْ إنه إذا لم يراعَ ذلك يحدث تنافر في الكلام، مثل لو قال قائل: اللهم اغفر لي يا شديد العقاب. يحصل تنافر في السؤال، في الحاجة التي يذكرها والاسم الذي توسل به.

وهٰذه الفائدة تكلم عنها كلاما بديعا ابن القيم في كتابه (جلاء الأفهام) وبيّن أن أدلة القرآن المشتملة على الأدعية كلها منسجمة، الدعاء مع الاسم المذكور. وذكر أمثلة على ذلك، وبين رحمه الله أن الاسم إن لم يكن موافقا للأمر المسؤول يحدث تنافر في الكلام.

وذكر في ذلك الموضع قصة الأعرابي المشهورة عندما سمع قارئا يقرأ القرآن الكريم، يتلو قول الله تعالى **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم)**، فقال الأعرابي: ليس هٰذا كلام الله. فغضب القارئ قال: تنكر كلام الله؟ قال: أبدًا أنا لا أنكر كلام الله، لكن ليس هٰذا كلام الله، **(فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم)** يعني شعر بالتنافر. فاسترجع القارئ الآية واسترجع حفظه فختمها بما خُتمت به ﴿**وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨)**﴾[المائدة:٣٨]، فقال الأعرابي: نعم، عزّ فحكم، وفعدل فقطع.

ولهٰذا ذكر الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله قاعدة شريفة جدا في الأسماء الحسنى التي تختم بها آيات القرآن الكريم، وبيّن في هٰذه القاعدة أن كل آية خُتمت باسم من أسماء الله أو أكثر لذلك الاسم تعلق بالمعنى الذي ذكر في الآية، لها تعلق بالسياق التي وردت به الآية، وذكر على ذلك أمثلة كثيرة.

وهٰذا أيضا مما يبين لنا أهمية معرفة أسماء الله وصفاته لتحقيق العبودية لله فيها في دعاء المسألة.

وأما في دعاء العبادة فيقول الشيخ: **(ودعاء العبادة: أن تتعبّد لله تعالىٰ بمقتضى هٰذه الأسماء)** وذكر بعض الأمثلة فقال: **(فتقوم بالتوبة إليه لأنه التوّاب، وتذكره بلسانك لأنه السّميع، وتتعبّد له بجوارحك لأنه البصير، وتخشاه في السر لأنه اللطيف الخبير، وهكذا.)** هٰذا دعاء العبادة.

عرفنا كيف تدعو الله عز وجل بأسمائه دعاء المسألة؛ بأن تذكر من أسمائه متوسلا بها بما يناسب مسألتك.

أما دعاء العبادة بأسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصفاته أن تعبده بمقتضيات أسمائه أن تعبده جل وعلا بمقتضيات أسمائه، وهٰذا يرجع إلى ما أشرت إليه سابقا من كلام ابن القيم أن أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مقتضية للعبودية، العبودية لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فكل اسم من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقتضي من العبودية ما يتناسب مع هٰذا الاسم، فإذا علمت أنّ الله توّاب، وهٰذا الاسم يدل على توبة الله على عبده كما بين أهل العلم هما توبتان من الله على العبد:

- توبة قبل توبة العبد.
- وتوبة بعد توبة العبد.

كما قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ﴾[التوبة:١٨]، توبة قبل توبة العبد بالتوفيق للتوبة، وتوبة بعد توبة العبد بقبولها من العبد.

ولهٰذا ما أحوجنا إلى معرفة اسم الله تبارك (التواب)، وما أحوجنا كذلك إلى عبادة الله بـه، بأن نستمنح ونطلب منه تَبَارَكَ وتَعَالَىٰ التوبة إليها وأن نسأله قبولها إذا قمنا بها.

وإذا علمت أن الله (عليم)، فإن هٰذا العلم بهٰذا الاسم مقتضي أيضا للعبودية لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لما يتناسب علمك بهٰذا الاسم.

وإذا علمت أن الله (بصير) يرى كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في ظلمة الليل، ماذا يقتضي علمك بهٰذا الاسم؟

وإذا علمت أن الله سميع يسمع كلامك، ماذا يقتضي علمك بهٰذا الاسم؟

وهكذا بقية أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كلها مقتضية للعبودية، وهٰذا باب شريف من أبواب هٰذا العلم يورث العبد من الخشية والتعظيم لله، والقيام بعبادته، والذل له والانكسار بين يديه، والبعد عن نواهيه شيئا عظيما، وله أثر مبارك على العبد، وكلما كان العبد بالله أعرف كان منه أخوف ولعبادته أطلب وعن معصيته أبعد.

قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ عرفنا قول الشيخ ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ دعاء المسألة ودعاء العبادة.

ومن باب توضيح ما سبق توضيحه ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي اعبدوه بمقتضياتها، هٰذا دعاء العبادة.

﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي توسلوا إليه في مسائلكم وطلباتكم وحاجاتكم بما يتناسب معها من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فقوله: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ يتناول دعاء العبادة ودعاء المسألة.

قال: **(ومن أجل منزلته هٰـذه، ومن أجل كلام الناس فيه بالحق تارة وبالباطل الناشئ عن الجهل أو التعصُّب تارة أخرى أحببتُ أن أكتب فيه ما تيسّر من القواعد)** هٰذه الأسطر فيها سبب التأليف، سبب تأليفه رحمه الله لهـٰذه القواعد.

هو يذكر رحمه الله أن سبب تأليفه لهٰذه القواعد يرجع لأمرين:

السبب الأول في قوله: (من أجل مترلته هـٰذه) فعلم توحيد الأسماء والصفات علم عظيم وعلم مبارك والحاجة إليه ماسة، والعلم به ضرورة للخلق لا غنى لهم عنه؛ عن هـٰذا العلم.

فلمكانة هٰذا العلم أحب الشيخ رحمه الله أن يكتب لهٰذه القواعد التي تضبط لطالب العلم مساره -المسار الصحيح- في هٰذا الباب الشريف من أبواب العلم.

والسبب الثاني لتأليفه لهٰذه الرسالة في قوله: (ومن أجل كلام الناس فيه بالحق تارة وبالباطل الناشئ عن الجهل أو التعصُّب تارة أخرى) يقول: الكلام في هٰذا العلم كثير والمؤلفات فيه عديدة قديما وحديثا؛ لكن هٰذه الكتب منها ما يتكلم بالحق ومنها ما يتكلم بالباطل، فإذا لم يكن عند طالب العلم قواعد كلية جامعة تضبطه قد يضطرب عليه الأمر في هٰذا الباب، قد تدخل عليه بعض الشبهات التي تحرفه عن الفهم الصّحيح لأسماء الله وصفاته، بينما إذا كان مع طالب العلم قواعد وأصول جامعة كلية عرفها بأدلّتها، وأيضا عرف شيئا من أمثلتها أمن بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من اللّبس والاشتباه والوقوع في الخطأ.

فهي بإذن الله جل وعلا لمن يضبطها صمام أمان من الزّلل والخطأ وتتحقق بها الأمنة بأن يصير العبد في هٰذا الباب سيرا سويا سليما.

قال: (ومن أجل كلام الناس فيه بالحق تارة وبالباطل الناشئ عن الجهل أو التعصُّب) وتأمل هنا الباطل كيف ينشأ في العبد وأن له سببان:

إما **الجهل** فيتكلم في أسماء الله وصفاته بالخطأ عن جهل، وانتبه هنا إلى خطورة الكلام في أسماء الله وصفاته بلا علم، فإن هـٰذا من أعظم المحرمات، والله جل وعلا يقول: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (١٦٩)﴾[البقرة:١٦٩]، ويقول: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[الإسراء:٣٦]، فالخطأ يكون عن الجهل، ومن كان جاهلا في هٰذا الباب يجب عليه السكوت هـٰذا من جهة، ومن جهة أخرى أن يطلب هٰذا العلم من طريقه الصحيح، لا أن يخوض في الكلام في الله وبأسمائه وصفاته بلا علم.

(بالجهل تارة وبالتعصب تارة أخرى) الجهل يكون بالكلام في هٰذا العلم بلا علم؛ يعني يكون الإنسان خاليا من العلم فيتكلم.

أما **التعصب** يكون عنده علم بالحق؛ لكنه من أجل تعصبه يدع تقرير الحق فيقرر الباطل، وهٰذا من أخطر ما يكون، يعني يعرف الحق؛ ولكنه لتعصبه لباطله يدع الحق ويقرر الباطل (**بالجهل تارة وبالتعصب تارة**).

ولهذا بعض المتكلمين قد يكون عنده علم بأن ما يقرره أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات هو الحق؛ لكن أنفته وتعاليه وغير ذلك من الأسباب تجعله يمتنع عن تقرير الحق ويقيم مقرا للباطل، (**بالجهل تارة وبالتعصب تارة أخرى**).

قال: لأجل ذلك (**أحببت فيه ما تيسر من القواعد راجيا من الله أن يجعل عملي خالصا لوجهه موافقا لمرضاته نافعا لعباده**) وهـٰذه دعوات مباركة نسأل الله جل وعلا أن يتقبلها من الشيخ بقبول حسن.

قال (**وسمّيته: «القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى».**) ونقف هنا والله تعالى أعلم وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحاب أجمعين.

يقول رحمه الله: (**وسمّيته: «القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى».**) (**سميته**) أي هٰذا الكتاب، (**القواعد**) عرفنا معنى القاعدة وأهميتها، (**المثلى**) أي الفاضلة، والأمثل هو الأفضل والمقدم على غيره، فهي قواعد مثلى؛ أي فاضلة متميِّزة جيدة نافعة لطالب العلم.

وقد عرفنا فيما سبق أنّ هٰذه القواعد أخذها أهل العلم بالتتبع والاستقراء لكتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (**في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى**) قدّم الشيخ رحمه الله هنا الصفات على الأسماء لا لشيء –والله تعالىٰ أعلم– إلا مراعاة لسجعة العنوان، (**القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى**) ولما بدأ بالكتاب فعلا بدأ بالأسماء أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ثم ذكر الصفات.

وقسّم الشيخ رحمه الله الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: بيَّن فيه قواعد الأسماء، القواعد المختصة بالأسماء.

والقسم الثاني: بيّن فيه القواعد المختصة بالصفات.

والقسم الثالث: بيّن فيه القواعد المختصة بأدلة الأسماء والصفات.

وبدأ أول ما بدأ بالقواعد المختصة بأسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ولعل من المفيد أن أشير إلى الفرق بين الأسماء والصفات؛ لأنّ هٰذا الكتاب يبحث في قواعد الأسماء والصفات.

فما الفرق بين الاسم والصفة؟

الكلام في هٰذا طويل؛ لكنني أختصره لكم في جملة نافعة:

الاسم يدلّ على شيئين، والصفة تدل على شيء واحد.

الاسم مثل: السّميع، البصير، العليم، الحكيم...، إلى غير ذلك من أسمائه تَبَارَكَ وتَعَالىٰ، فكل اسم من أسماء الله دال على أمرين:

- دال على الرّب العظيم.
- ودال على الصفة التي تضمّنها الاسم.

فمثلا السميع يدل على الله جل وعلا، ويدل على ثبوت صفة السمع له.

ولهٰذا سيأتي معنا قريبا قاعدة أن أسماء الله أعلام وأوصاف:

- فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات.
- وأوصاف باعتبار دلالتها على المعاني أو النعوت.

وهٰذا منطبق على كل اسم من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فكل اسم من أسماء الله دال على شيئين: دال على الذات ودال على الصفة.

فالسميع يدل على ذات الله ويدل على صفة السمع.

البصير يدل على الذات ويدل على صفة البصر.

العليم على الذات وعلى العلم.

وهكذا قُل في جميع أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

بينما الصفة تدل على شيء واحد وهو النعت الذي قام بالموصوف.

مثل: السمع، البصر، العلم، الحكمة، الإرادة، اليد، القدم، العين، هٰذه صفات، وهي كما أوضحت تدلّ على النّعت الذي قام بالموصوف.

ولهٰذا كل اسم –وهٰذه قاعدة– كل اسم يدل على صفة بلا استثناء، كل اسم من أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يدل على ثبوت صفة كمال لله، السميع: السمع، البصير: البصر، العليم: العلم،

الحكيم: الحكمة، والحكم. وبعض الأسماء يدل على أكثر من صفة مثل السيد والعظيم والمجيد، هٰذه تدل على أكثر من صفة.

فكل اسم يدل على صفة، ولا يؤخذ من كل صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسما. كل اسم يؤخذ من صفة لله، ولا يؤخذ من الصفات أسماء.

فمثلا من صفاته النزول والاستواء والمجيء والضحك والرضا وغيرها، هٰذه صفات ثابتة بالكتاب والسنة، فلا يؤخذ من هٰذه الصفات أسماء لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فكل اسم يدل على صفة، وليست كل صفة تدل على اسم.

ولهٰذا سيأتي معنا من القواعد أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء، الأسماء للعلم بها طريق واحد، والصفات للعلم بها عدة طريق يأتي بيانها في حينه إن شاء الله.

وأيضا ما عرفناه قبل قليل أن الأسماء تدل على شيئين، والصفات تدل على شيء واحد.

والآن وصل الشيخ عبد الله الجربوع للدخول في الدرس الثاني، نسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. [١]

❁❁❁❁

[١] انتهى الشريط الأول.

الفهرس

مقدمة ٢

المقدمة الأولى ٢

توحيد الأسماء والصفات ركن من أركان الإيمان بالله ٢

توحيد الأسماء والصفات غاية خلق الإنسان لمعرفتها ٣

توحيد الأسماء والصفات له مقتضيات ٣

توحيد الأسماء والصفات يزيد الإيمان ويقويه ٤

توحيد الأسماء والصفات الغلط فيه خطير ٤

توحيد الأسماء والصفات أخطأ فيه الكثير ٦

المقدمة الثانية ٧

القواعد قسمين ٧

تعريف القاعدة عند أهل العلم ٧

فوائد معرفة القواعد ٨

المقدمة الثالثة والأخيرة ٨

كتاب القواعد المثلى له أهمية من جهتين ٨

العلماء الذين اعتنوا بالقواعد ٩

قصة طريفة وقعت للشيخ العثيمين في طلبه للعلم ٩

تقديم لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ١٠

مقدمة الكتاب ١١

شرح مقدمة الكتاب ١٢

فائدة: الإيمان بالله ينقسم إلى ثلاثة أقسام بالتقسيم الإستقرائي لا اصطلاحا ١٥

دعوة المرسلين ترتكز على ثلاثة محاور ١٦

الدعاء نوعان ١٧

التوبة من الله على العبد توبتان ١٨

سبب تأليف الشيخ العثيمين للكتاب يرجع لأمرين ٢٠

الفهرس ٢٤